القاعدة و الاصل فيها

قيل: ان الاصل فی القاعدة الخبر المشهور المروی عند العامة و الخاصة عن النبی – صلی الله علیه و آله – و هو قوله :«الاسلام یجبّ ما قبله» . قیل: وفی مجمع البحرین بزیادة قوله - صلی الله علیه و آله - : «و **التوبة** تجبّ ما قبلها من الکفر و المعاصی و الذنوب »؛ و عن الطبرانی:«الاسلام یجبّ ما قبله و **الهجرة** تجبّ ماقبلها».[۱] فتامل.[۲]

فأصل الحدیث – فارغا من ضعفه و قوّته – ثابت و شهرته ایضا کذلک، کما ان سنده - بما هو هو - ضعیف لدی الخاصّة . و بذلک نقف علی جریان النزاع المشهور بین الاصولیین من الامامیة فیه:

- فمنهم علی عدم جبر ضعف سنده و لا مفاده من جهة ان الشهرة تکون غیر حجة و ضمّ اللا حجة الی اللاحجة لا یفید شیئا؛
- و منهم علی ان الشهرة جابرة لضعف سند الروایة و بها تصیر الروایة معتبرة و ان افترضنا عدم کونها سببا لاعتبار السند فی موارد اخری .[۳]
- و منهم علی ان الشهرة جابرة علی افتراض استنادهم الی الروایة و لا یکفی مجرّد توافقهم فی فتیاهم مفاد الروایة التی فرض کونها غیر معتبرة.[٤]
- و منهم علی بعض تفاصیل اخری اوردناه فی بعض مکتوباتنا.[٥]

و الظاهر ان ارکان الجبر من ثبوت اصل الروایة و الشهرة علیها و الاستناد الیها (وفق النظر الثالث فی الجبر) تامة. مضافا الی ما قلناه و کتبناه مرارا من ان بعض المأثورات صار فی الشهرة و التسالم علیه بمنزلة یکون کالشعائر بل هو منها و بذلک صحّحنا التمسک بکثیرة من الروایات - و منها روایات الجبّ - قلنا بمقولة الجبر ام لا.[٦]

و ان کان للقول بالجبر علی بعضِ المناهج فی الاجتهاد وجه یُدافع عنه.[۷]

فروایات الباب قابلة للاستناد الیها.

---

۱ .لاحظ السیدمحمد حسن البجنوردی، **القواعد الفقهیة**، ج۱، صص ۴۷-۴۹.

۲. اشارة الی ان الاصل فی القاعدة هو القرآن، حیث قال: «قل للذین کفروا ان ینتهوا یغفر لهم ما قدسلف»؛ الانفال:۳۸، لاحظ ایضا سورة البقرة:۲۷۵؛ النساء:۲۲ و ۲۳.

۳ .فهناک شیئان غیران : احدهما کون الشهرة سببا لعدّ السند معتبرا فی الروایة التی تحققت فیها الشهرة و فی غیرها اذا کانت بهذا السند . و ثانیهما کونها جابرة لضعف الروایة المفروضة من دون ان یوصف السند بکونه سندا معتبرا فیها و فی غیرها . فتنبّه لذلک.

٤ .تلحظ فی ذلک «**فقه و حقوق قراردادها / ادله عام روایی**»(فارسیة)، ص ۳۶.

٥ .المصدر.

٦ .المصدر، ص ۴۰و۴۱.

۷ .المصدر، صص ۳۷-۴۰.

حدود دلالة القاعدة و قراءة جديدة منها

من الواضح ان القاعدة المدلول عليها من الروايات المشار اليها اجمالا من المحكمات وليس فی اصلها ابهام و تشابه . و انما الكلام فی حدود دلالتها فی ضيقها و سعتها بعد ما كان للشمول قدر متيقن كما كان للخروج من سعتها ايضا قدر مسلم. و لسنا فی الحال علی صدد التعرض لحدود القاعدة علی وجه التفصيل بعد ما لم يكن البحث عنه من صددنا فی المجال الراهن، مضافا الی تصدی جمع منهم الی لدلالتها[۸] و مع ذلک لا نضايق عن التعرض الی شيئين بعد عدم تبرير لاهمالهما :

- الاول ان القاعدة (و سندها) ليست ناظرة الی التكوين و ما يشابه التكوين او هو منه، فالرجل بنفس اسلامه لا يخرج عما هو عليه. و ان تغيّر و تحوّل فی اوصافه و خصائصه فهذا شیء آخر قد يجری علی سائر الناس ايضا كما قد لا يجری عليهم. فمحض الاسلام – بنفسه لا اذا ما تخلّق بخلقيات يدعو اليها الاسلام؛ اذ هذا امر آخر خارج عن الافتراض – لا يزيد المسلم علما و لا حلما و لا عقلا و لا ای شی ء آخر من الكمال و الاستعداد و الظروف. هذا من طرف و من ناحية ثانية ان الامامة شأن عظيم لا يليق به من كان فاقدا لظروف تقتضيها و من اعظم الشواهد علی عدم اللياقة ارتكاب بعض الشنائع و القبائح التی تدل العقل علی قبحها و شناعتها ؛ فمن كان عابدا للاصنام و الاوثان لا يصل بمحض الاسلام الی شأن و مرتبة يليق به نيل الامامة تسلّمنا القاعدة ام لا!
- الثانی قد يبدو الی النظر ان الافعال التی يدل العقل السليم من كل احد علی قبحها و فسادها كانت خارجة عن نطاق القاعدة و ادلتها سواء كانت متعلقة بالجوارح او بالجوانح؛ و ان ورد فی بعض روايات الباب ما قد يستفاد منه خلاف ذلک[۹] فهو اما مؤوّل بعدم عدّها فی تلک الازمنة من القبائح كتقبيحها اليوم! و اما يطرح و يرمی بضعف سنده بعد عدم دلالة تمامية القاعدة و اصل الرواية المرتبطة بها علی تمامية كل ما روی فی الباب و هو واضح و اما يحمل علی قضية خاصّة و حكم او عفو سلطانی لا يعدو منه الی غيره. فتامل.

فالتمسک بالقاعدة بغية اثبات نيل غير الحجة المعصوم علی الاطلاق الی الامامة عقيم!

و هذه الفكرة تنطوی قراءة جديدة حول القاعدة و لكنها محتاجة الی البحث و النظر اكثر من ذلک.

---

۸. و من العجيب تصدی بعضهم للبحث عنها من دون مراجعة الی مناسبة صدور نصوصها! لاحظ **جواهر الكلام**، ج۱، ص۴۰۰ (الطبع القديم)؛ و تبعه فی ذلک بعض.

۹ . حكی عن بعضهم خبر اسلام مغيرة بن شعبة و غدره برفقائه من بنی مالک و قتلهم و سلبهم اموالهم و فراره الی المدينة و عرضه اموالهم علی رسول الله – صلی الله عليه و آله – و ابائه عن اخذه و قال :«لا خير فی غدرٍ » و لكن قبل اسلامه و قال: «الاسلام يجبّ ما قبله ». لاحظ **القواعد الفقهية** (بالوصف السابق)، ص۴۷و۴۸.